

المتثلثون بالقوة الجسدية ليس من السهل ان يطيعوا، والحقيقة ان هواء الجبال القوي لم يكن مناسباً للمستبدين . إن نظرية العبد الخاضع خضوعاً مطلقاً للملك تزدهر أكثر حيث لا توجد هضاب تقدم ملجأ للتمرد ولاقمم جبل تدعو الإنسان ان يعيش حياة المخاطرة . وعندما بدأ التاريخ في اليونان لم يكن ثمة أثر للدولة القديمة . فالعاهل المقدس المرعب الذي لا يقرب ، فرعون مصر والكاهن الملك في الرافدين ، والذي كانت سلطته المطلقة لاتناقش عبر آلاف السنين ، لم تظهر أبداً على المسرح . ولا يوجد أي شيء يشبهه في اليونان . نعرف شيئاً ما عن عصر الطغاة في التاريخ اليوناني لكن مانعرفه بوضوح شديد هو أنهم وضعوا حداله . والخضوع الذليل لسلطة العرش ، الذي كان قاعدة الحياة في العالم القديم منذ بداية الملوك ، والذي كان قاعدة الحياة في آسيا لقرون قادمة ، حطمها الإغريق بسهولة وسرعة فلم يبق منها إلا صدى الصراع الذي وصل إلينا .

في «الفرس» لاسخيلوس وهي مسرحية كتبت احتفالاً بهزيمة الفرس في سالاميس ، الإماعة للفرق بين الأسلوب اليوناني والأسلوب الشرقي . لقد قيل للملكة الفرس أن الإغريق يحاربون كرجال احرار دفاعاً عن شيء عزيز على قلوبهم . سألت الملكة : أليس عليهم سيد؟ فقيل لها . لا رجل يسمى الإغريق عبيداً أو تابعين . ويضيف هيرودوت في سجله لايطيعون سوى القانون وحده . إننا هنا أمام شيء جديد كل الجدة . فقد ولدت فكرة الحرية . ان مفهوم الإهمال الكامل للفرد تجاه الدولة الذي انحدر من العهود القبلية المبكرة ، والذي لاقى القبول العام القديم قد اخلى مكانه في اليونان لمفهوم حرية الفرد في دولة تدافع عن ارادته الحرة ذاتها . إن ذلك تغير لم تحدثه الروح العليا والسلطة الساحقة . هناك ما هو أكثر من ذلك في اليونان . فالناس يفكرون بأنفسهم .

من الأقوال الفلسفية اليونانية القديمة قول اناكساغوراس : «كل الأشياء كانت في فوضى عندما ظهر العقل وخلق النظام» . وفي العالم القديم الذي تحكمه اللاعقلانية ، تحكمه القوى المجهولة المرعبة ، حيث كان